

الترايط بين فعل الانسان والنظام الكوني ﷺ الشيخ يقطان الخزاعي



الترايط بين فعل الانسان والنظام الكوني

ﷺ الشيخ يقطان الخزاعي

لربما سائل يسأل فيقول لماذا يتوجب علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى فيما إذا حصلت معصية وعمل منكر خارج دائرة المكان الذي نعيش فيه وقد لا يصل صوتنا الى من فعل المنكر بعينه؟

• أنواع الذنوب وآثارها

لا بد أولاً أن نعرف أن الذنوب على نوعين منها الخاص الشخصي والعام الاجتماعي وكلامنا في النوع الثاني منها الذنوب ذات البعد الاجتماعي والتي يقوم بها العاصي بصورة علنية واضحة للعيان والتي فيها أثر دنيوي بالإضافة الى اثرها الاخروي وهذه الذنوب لها آثار سلبية على المجتمع فقد ورد عن الامام الرضا عليه السلام انه قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون) (١)

فهناك علاقة تكوينية بين المعاصي وبين البلاءات التي تصيب العباد والبلاء

كما يمكن الاستفادة من هذه الرواية بقريئة المقابلة في الأثر فالعكس صحيح أيضاً وانه كلما أحدث العباد طاعات جديدة أحدث الله لهم نعيم وخيرات جديدة وقد ذكر القران هذه النعم المترتبة على الطاعات في قوله تعالى: { فَاقْبَلْتُمْ اسْتِغْفَارَ رَّبِّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ كَافِرِينَ كَانَتْ غَفْوَةً رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ } (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَيَنْزِلْ عَلَيْكُمْ حَنَنًا مِنْ رَبِّكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّكُمْ وَرَبُّكُمْ وَجِيدٌ عَلِيمٌ (١٢)

وفي الرواية عن الفضيل ابن يسار عن الإمام الصادق (عليه السلام) : من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالأعمال. (٣)

هذا واحد من الآثار للذنوب وهناك غيرها الكثير من الروايات التي لا مجال لذكرها

• ماذا لو تركنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ومن زاوية ثانية فيما لو أعرضنا عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعطلنا هذه الفريضة الإلهية المباركة فأن البلاء سيعم وحينها يؤخذ الساكت بجريرة العصي كما حصل في الاقوام السابقة والأمم الماضية وقد قصّ علينا القران وتراث أهل البيت عليهم السلام كيف عم البلاء لتلك الأمم ومنها:

إن ا [عَزَّ وَجَلَّ] أوحى إلى شعيب النبي أني معذب من قومك مئة الف أربعين ألفا من شرارهم، وستين ألفا من خيارهم فقال (ع) يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار فأوحى [عَزَّ وَجَلَّ] إليه أنهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي. (٤)

وها هو موسى الكليم عليه السلام يخشى من شموله بالعذاب رغم انه لم يقترب ذنباً حاشاه

{ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا } (٥)

حتى ان التيه الذي أصاب قوم موسى عليه السلام شمل الجميع ولم يفرق بين المؤمنين والمخالفين لموسى عليه السلام قال تعالى: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي لَنَدَخِلُهَا أَبَدًا مِمَّا دَامُوا فِيهَا فَذَهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أملكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي فَأَفِرُّ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ إِنِّي أَنزَلْتُهَا مَدْرَمَةً عَلَيْهِمْ أُرْيَعِينَ سَنَةً يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (٦)

كما اننا لو ادبنا تلك الفريضة المباركة فسوف نحصل على اثار كثيرة منها عدم شمول المؤمنين بالبلاء فقد قال تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَاهَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ } (٧)

وقال تعال: { وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا مِّمَّنْهُمُ أَذْهَبَ اللَّهُ بَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبُّكَ مُرْتَابًا وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِيهِمْ وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِيهِمْ وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِيهِمْ وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِيهِمْ } (٨)

فتغيير المنكر ورفضه في القلب له آثر وفائدة فان ا تبارك وتعالى ينظر الى قلب الانسان المؤمن والى جوارحه فقلب الانسان هو الركيزة الأساسية لرفض الباطل وقبول الطاعة ولذلك كان الذنوب القلبية أشد أثراً على الانسان من الذنوب الجوارحية فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : القصد إلى ا بالقلوب أبلغ من القصد إليه بالبدن، وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال.(٩)

نسأل ا تبارك وتعالى أن نكون من الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

٩/ جمادى الاولى/ ١٤٤٣ هجرية

(١) - ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٩٩٥

(٢) - سورة نوح، (١٠-١١)

(٣) - الامالي، الطوسي، ص٧٠١

(٤) - الدرر السنية، الحر العاملي، ص٣٠

(٥) - سورة الاعراف، ١٥٥

(٦) - سورة المائدة (٢٥-٢٦)

(٧) - سورة هود ٩٤

(٨) - سورة الاعراف ١٦٤

(٩) - مشكاة الانوار، ص٢٠٦